كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف،
في احتفال تسليم الشهادات في كليّة العلوم الدينيّة،
في مدرّج بيار أبو خاطر، حَرَم العلوم الإنسانيّة،
يوم الأربعاء، الواقع فيه ١٣ أيّار ٢٠١٥، في تمام الساعة السابعة مساءً.

حضرة سيادة المطران مارون عمّار رئيس لجنة راعويّة الصحّة،

حضرة عميد كليّة العلوم الدينيّة الأب ماريك تشاشليك،

حضرة مدير المعهد العالي للعلوم الدينيّة الأب إدغار الهيبي،

حضرات المنسّقين والمنسّقات،

حضرات الأساتذة،

حضرات المتخرّجات والمتخرّجين،

أيّها الحفل الكريم،

أشكركم حضرة العميد لدعوتي أن أشارك في هذا الاحتفال لتسليم الشهادات لمستحقّيها من طلاّب كليّة العلوم الدينيّة بمختلف الاختصاصات والذي هو موضوع لقائنا اليوم. ولا أخفي عليكم، حضرات الآباء والأخوات والسيّدات والسادة أنّه يعزّ عليّ أن أكون معكم اليوم لأسباب ثلاثة :

أوّلاً لأنّ هذه الاختصاصات هي فريدة من نوعها ولأنّ المتخرّجين قاموا بالجهد الواجب للتمكّن منها، ولأنّنا نحتفل هذه السنة بذكرى تأسيس الجامعة اليسوعيّة المئة والأربعين في العام ١٨٧٥، وهذا يذكّرنا بأن همّ المؤسّسين اليسوعيّين ورغبتهم، لا بل هدفهم الأوّل، كان يكمن في إعداد كهنةٍ وخدّام للكنائس الكاثوليكيّة وتنشئتهم ليتمتّعوا بالكثير من العلم اللاهوتيّ النظريّ والعمليّ وحتّى بالعلوم الإنسانيّة والأدبيّة الرائجة آنذاك. لذلك كانت الكليّة الأولى المنشأة آنذاك إلى جانب الإكليريكيّة الكبرى الشرقيّة هي كليّة اللاهوت التي اعتمدت برنامج

تدريس اللاهوت الروماني بمختلف أبعاده وأشكاله التعليميّة منها، مستندةً تعلُّم العقيدة الكاثوليكيّة ونصوص السلطة التعليميّة وآباء الكنيسة، إلاّ أنّ ذلك البرنامج كان يتوجّه أيضًا إلى العقل البشريّ وهو نور الله في الإنسان، ليقوم هذا العقل بنفسه بقراءة سرّ الوجود من ضمن سرّ الله الخالق والمخلّص بقوّة كلمته. كانت كليّة اللاهوت الأولى التي أمّنت مدّة قرن من الزمن، من السنة ١٨٧٥ حتّى العام ١٩٧٥، التعليم اللاهوتيّ النظاميّ وقد خرّجتْ للكنيسة نحو ثلاثة الآف من البطاركة والأساقفة والكهنة والرهبان والراهبات وحتّى العلمانيّين الذين لعبوا الدور البارز في تنشيط الكنيسة وفي رفدها بفكر كنسيّ يتلاءم ووضعيّتها الشرقيّة، ويؤكّد هويّتها وأصالتَها ورسالتَها وانفتاحها على الحداثة في آنٍ واحد. يشهد على ذلك الدور الذي لعبه الكثيرون من الذين درسوا في الكليّة آنذاك في إنشاء المدارس وتنشيط الرعايا والمشاركة في نهضة العرب الأولى وتطوير التربية على المستويات المتعدّدة. ولن ننسى أنّ الكليّة المكمّلة آنذاك كانت كليّة الفلسفة التي ذابت لاحقًا في كليّة اللاهوت لتظهر لاحقًا بشكل معهد جامعيّ، أنا واحد من خرّيجيه. وإنّنا، إذ نلتقي اليوم في تسليم الشهادات لمستحقّيها، نرى أنّ الجامعة اليسوعيّة استطاعت أن تنتقل بنجاح من مرحلة كليّة اللاهوت الحبريّة التي ذهبت إلى جامعة كاثوليكيّة أخرى إلى مرحلة كليّة العلوم الدينيّة وما تكتنزه من برامج واختصاصات متنوّعة، وهمّها هو إكمال المسيرة لا على صعيد تعليم اللاهوت النّظامي للكهنة ولخدّام الكنيسة المباشرين بل الاهتمام بكلّ الاختصاصات أكانت طويلة أم مختصرة، تلك التي يجمع بينها وينسجم بين معانيها البعد الراعويّ والتطبيقيّ والعمليّ وربّما أيضًا التأمّليّ الشخصيّ إلى جانب الناحية النقديّة لمعطيات الظاهرة الدينيّة، وتنمية الإيمان الواعي المسؤول، حيث أنّ الإيمان عندما يصبح لا واعيًا ومنغلقًا على ذاته ينسى رسالته ويصبح أداة للموت والقهر والغلبة على الإنسان الآخر في اختلافه.

فهدف التعليم اليوم في كليّة العلوم الدينيّة هو التعمّق في الاختصاص وفي مختلف المواضيع الدينيّة والروحيّة حيث يصل الطالب إلى مرحلة النجاح التام عندما يوظّف اكتسابه للحوار مع ذاته والانفتاح على الآخرين وكذلك للحوار مع الآخرين الذي أصبحت الكليّة عبر معهدها في الدراسات الإسلاميّة المسيحيّة مرجعًا فيه وشاهدًا.

وعندما ننظر إليكم اليوم حضرات المتخرّجات والمتخرّيجين النجباء، فلا بدّ من كلمة تهنئة توجّه إليكم لا لأنّكم نجحتم فقط في دراساتكم بل لأنّكم اخترتم طريق الشجاعة والإقدام لا بل المغامرة للالتحاق بمختلف الاختصاصات كالدبلوم الجامعيّ في راعويّة الصحّة، فتكونوا أمناء على رسالة الشفاء ومرافقة المريض والمتألّم ؛ والدبلوم الجامعيّ "أؤمن" : مدخل إلى الإيمان المسيحيّ، فتكونوا شهودًا لسرّ الإيمان المسيحيّ تتكلّمون عنه براحةٍ وفكرٍ مستنير؛ والشهادة الجامعيّة في الشمّاسيّة والراعويّة الاجتماعيّة، فتحملوا الأسرار إلى طالبيها وتكونوا شهودًا أمناء على تعليم الكنيسة الاجتماعيّ ؛ والإفادة في التنشئة والتدريب على الحوار الإسلاميّ والمسيحيّ، فتعملوا على إزالة الأفكار والصور المنمّطة عن الآخر وتكونوا شهودًا على أنّ خير طريق نحو الآخر هو طريق الحوار؛ والدبلوم الجامعي في "الأديان والإعلام"، فتحدّدوا مكانة الدين الصحيحة في وسائل الإعلام وتتكلّموا عنه برويّة وحكمة فتحلّ المعرفة بالآخر مكان الجهل ونعت الآخر بأقبح الكلام. وهذه التهنئة نوجّهها أيضًا إلى إدارتكم الحكيمة وإلى الأساتذة الكرام الذين أعطوا ويعطون الأفضل من أجل صياغة ونقل المهارات والكفاءات التي تميّزكم اليوم وقد حصّلتموها في أثناء الدراسة.

هذه الاختصاصات التي تنالون الشهادة فيها هي متعدّدة وتستجيب لمطالب وتوقّعات سوق العمل، مع العلم أنّ جلّكم هو من العاملين في مختلف الاختصاصات، ونعرف أنّ أعمالكم والتزاماتكم مستندة لا إلى إرادة ربحيّة بل إلى عطاء الذات لرسالة ودعوة وإيمان وقناعة.

والتعدّديّة التي هي بينكم لا تحثّ على التفريق والتباعد، بل هي في الواقع غنىً يميّز كليّتنا وجامعتنا وهي بالأحرى تنوّع نراه كنزًا ثمينًا لنا لأنّها تعزّز روح الحوار، فكيف نستطيع التعلّم واكتساب الجديد إن لم يكن ذلك مبنيًّا على قاعدة أنّ الحوار ممكن بين الواحد والآخر، بين الطالب والطالب، بين الذات والذات وبين الأستاذ والطالب والإدارة. ففي هذا الأمر يقول المجمع الفاتيكاني الثاني "إنّ من أهمّ مهمّات كليّات اللاهوت هي التدريب على القدرة على الإصغاء للآخرين والانفتاح في جوٍّ من المحبّة الأخويّة إلى مختلف نواحي العلاقات البشريّة". وهذا يؤول إلى تحوّلٍ لا على مستوى الفكر فقط بل على مستوى القلب أيضًا وهذا أمرٌ أساسيّ إذ أنّه يبني العلاقات الإنسانيّة على أساس جديد يكون فيه الدين محطّة إجتماعيّة للمتخرّجين.

أيّها المتخرّجون،

هذا الدبلوم أو الشهادة التي سوف تحملونها بعد هنيهة هو في الواقع ورقة مقوّاة إلاّ أنّ لها المعنى الخلقيّ والأكاديميّ الأسمى الذي يتيح لكم بأن تتابعوا مسيرتكم الشخصيّة بتألّق ومهنيّة، حيث تشعرون بأنّ هذه الورقة هي قيمة مضافة تثبت حضوركم على مستوى الحياة. فأختم بهذا البيت من المزمور ١٣٣ : "ما أجمل وما أعذب أن يجتمع الإخوة معًا" وذلك لاستلام شهاداتهم وللاحتفال بمناسبة الـ ١٤٠ سنة على التزام الجامعة اليسوعيّة بالعمل على إعداد الذين يعملون على تحويل مجتمعنا إلى مجتمع خير وبركة وإنسان يقوم سلوكه على التمييز بين الخير والشرّ، بين الحريّة والفلتان والعبوديّة، بين العدالة والاستزلام والظلم وأخيرًا بين علم يترقّى به الإنسان إلى فوق وجهلٍ ينزلنا إلى الدرك الأسفل.

فمنذ العام ١٨٧٥، منذ ١٤٠ سنة، نحن في معركة من أجل رقيّ الإنسان باسم الله وما زالت المعركة مستمرّة، معركة حقٍّ وحضور باسم قيمة الحياة ودوام المحبّة والحريّة والعدالة !